لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون »[1] .

هذه المنزلة — منزلة التوقير والتعظيم — تعلو منزلة الحب ، إذ ليس كل محب معظما .

قال البيهقي : وهذه المنزلة أي منزلة التوقير والتعظيم فوق منزلة المحبة ، إذ ليس كل محب معظماً كمحبة الأب لولده ، والسيد لعبده من غير تعظيم بخلاف العكس »[2] ، هذا التوقير والتعظيم يكون لرسول الله ﷺ — في حياته وبعد وفاته .

٣ — التصديق بكل ما أخبر به النبي ﷺ :

ومن مظاهر الولاء للرسول — ﷺ أيضاً ، تصدق العبد بكل ما أخبر به الرسول — ﷺ — عن ربه ، وصح عنه — ﷺ — ، ولا يحق له أن ينكر حديثا لم يصل إليه علمه ، أو خالف عقله وهواه ، ذلك أنه من رحمة الله — عز وجل — بهذه الأمة أن عصمها من الإضطراب الفكري بثبات أصليه الكتاب والسنة .

أما الكتاب فقد تكفل الله بحفظه حيث قال سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[3] .

أما السنة فقد جند الله لها رجالا حفظوها من التحريف ، وأزاحوا عنها كيد الغالين المبطلين ، وبينوا الصحيح من غيره ، واتبعوا في تدوينها منهجا لا يزال مضرب الأمثال في الدقة والتحرى التثبت ، وكانوا لا يقبلون

---

(١) سورة الحجرات الآيه رقم ٢

(٢) مختصر شعب الإيمان البيهقي ص ٣٢

(٣) سورة الحجر الآية رقم ٩

قولا حتى يعلموا أصله ومصدره ، ولهذا أشترط الأسناد الذى تفردت به هذه الأمة عن غيرها، الأمر الذى يجعلنا نأخذ عن هؤلاء العلماء بثقة ويقين لكل ما دونوه وأثبتوه لرسول الله ﷺ والتى بدونها لا يفهم القرآن الكريم ، ولا تستبين معالم الدين وحدوده .

وغير ذلك من مظاهر الولاء لرسول الله ﷺ فى الإسلام كثير وذلك كنصر دينه بالقول ، والفعل ، والذب عن شريعته ، وكثرة ذكره ﷺ ، وكثرة الشوق إلى لقائه ، وحب القرآن الذى أتى به ، وهدى به وأهتدى به ، وتخلق به ، ومحبة سنته ، وقراءة حديثه ... الخ .

الولاء للإسلام :

إن مما يؤسف له أن تعلن اليهود فى كل مناسبة وعلى ألسنة زعمائها ، وفى وسائل الإعلام — المقروءة والمسموعة — أنها تحارب من أجل التوراة وأرض الميعاد ، كذلك الصليبية تعلن أنها تتحرك لنصرة مبادىء المسيح ، والشيوعية تدعى أنها تحارب من أجل تعاليم ماركس ... إلخ على حين أننا قد لا نسمع من ينادى من زعماء الإسلام أنهم يحاربون من أجل الإسلام والقرآن ... إلا من عصم الله .

وإيمان المسلم بالله سبحانه وتعالى ، وبكتبه ورسله ، وأنضواؤه تحت العقيدة الإسلامية يفرض عليه أن يعيش لهذا الدين ، وأن يحيا به ، ويموت به ، وأن يجعل حبه وبغضه مرتبطا بمبادىء هذا الدين ومصالحه .

وإذ كان الأستعمار قد أفلح فى إيجاد فجوة بين المسلم وبين دينه ومعتقده ، وجعل الأنتماء للدين والولاء له أمراً رجعيا ، ونجحوا فى ايجاد جيل ينتمى للإسلام ويعمل فى تحقيق هذه الفكرة الباطلة ، فإنه قد آن الأوان من بدء حركة إحياء جادة لإيقاظ ولاء هذه الأمة نحو دينها ومعتقدها ، كى تستعيد مكانتها ، ويستحق لها البقاء فى الأرض وصدق

الله إذ يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »(١) .

فالتمسك بالدين والولاء له حياة هـــذه الأمة ورسالتها ، ومعاشها ومعادها وإختيار الله لها ، فهو شرف لماضيها وحاضرها ومستقبلها . « لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون »(٢) « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »(٣) .

[مظاهر الولاء للإسلام] :

١ ــ الانتماء العقائدى للإسلام لا يكون إلا بطريق العمل الحركى والفكرى عقيدة وشريعة ومنهاجا » :

إن المتأمل فى كتاب الله تعالى يرى أن الله ــ عز وجل ــ قد عاتب المؤمنين على القول دون العمل ، واستنكر ذلك منهم ومقتهم حين خاطبهم بقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »(٤) ، وبقوله : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون »(٥) ، وحين ذكرهم بهذا المثل المضروب لبيان حال اليهود ــ وغيرهم ــ حينما أنزل فيهم شرع الله

(١) سورة الحج من الآيتين رقم ٤٠ ، ٤١ .
(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠
(٣) سورة الزخرف الآية رقم ٤٤
(٤) سورة الصف الآيتان رقم ٢ ، ٣
(٥) سورة البقرة الآية رقم ٤٤

وكتابه، فأعرضوا عن العمل بمـــا فيه وخالفوا أمره، فقال سبحانه: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين، قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين»[1].

فأولى مظاهر الولاء للدين الانتماء الكلى له، قولا وفعلا، ولا يعقل إطلاقا ولاء بدون تطبيق عملى لشرائع هذا الدين، والإلتزام به عقيدة، وعبادة، وفكراً، وسلوكا، بذلك يكون المؤمن كشجرة طيبة كما قال الله — سبحانه — أصلها ثابت وفرعها فى السماء، إن هذا الانتماء يضم أهل الفداء والنجدة، ليذودوا عن العقائد والحرمات، وليس الإيمان بالتمنى كما قال الصادق المعصوم — ﷺ — لكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما عزتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

٢ — الاعتزاز بالإسلام فى كل حال، والاعتقاد أن العز والشرف فى الانتساب إليه:

أجل لقد أعزنا الله — تعالى — بالاسلام، وبالإسلام وحده يكون طلب العز، ومن طلب العز فى غيره أذله الله — تعالى — ، يشهد لذلك حال العرب قبل الإسلام، وحالهم بعده جاء الإسلام فرفع أقدارهم، وأعزهم فى العالمين، وسوى بين غنيهم وفقيرهم، وجعلهم خير أمـــة أخرجت للناس، لا فضل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا لم يتأت إلا من خلال التمسك بما جاء به الوحى المعصوم، «فاستمسك

---

(١) سورة الجمعة الآيات رقم ٥، ٧

بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »[1] ، فلو تمسكنا — بحق — وجمعنا شملنا تحت هذا المفهوم . ما نالت منا قوى الشر مهما بلغت من القوة والعدوان ، ولنتأمل ماقاله النبي — ﷺ — : ... إن ربى قال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لايرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لاأهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا »[2].

والهزائم النفسية والداخلية فى الأمة من أخطر ما يهدد كيانها ، ويمزق شملها ، ويجعلها متناثرة يهلك بعضها بعضا ، والإسلام هو الشيء الوحيد الذى يجمع الشمل ويحقق ميزان العداله ،ويحى القلوب ، ويجعلها على كلمة سواء ، إنه الذى صنع المهاجرين والأنصار ،وجعل منهم المجتمع المثالى المنشود ، الذى لانظير له ولا مثيل فى المجتمعات الإنسانية جمعاء، وهو الذى يصنع مهاجرين وأنصاراً جدداً ، وذلك إذا أتخذته الأمة الإسلامية دستوراً لحياتها ، فنادت به فى المحافل والمجتمعات ، وأعتزت بالولاء له نصرة وتأييدا .

بذلك يكون الإسلام اسما على مسمى ، أما من اتخذه شعارا دون عمل جاد فمثله مثل من يقول : « الدين رب يحميه » وهو ممن قال الله فيه: واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين

---

(١) سورة الزخرف الآيتان رقم ٣٣ ، ٣٤

(٢) صحيح مسلم حـ ٨ ص ١٧٨ من حديث طويل رواه ثوبان عن النبي — ﷺ —

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »(١)، إنه لا كرامة للإنسان إلا من خلال الاعتزاز بالدين، والاعتقاد الجازم بأن العز والشرف في الانتساب إليه، والعمل الدائب لتحقيق ذلك.

٣ — الجهاد من أجل إعلان كلمته بالفكر واللسان، والبدن، والمال.

يواجه الإسلام — الآن — تحديات معاصرة، اختل من خلالها الفرد والجماعة، وشوه الحق حتى كاد لا يرى، وزين الباطل حتى كاد أن يظن حقا، وهذا نتيجة أتباع الشعارات الزيفة، والمسميات المغرضة، التي قصد من خلالها سلخ الإنسان من دينه، وعاداته الأصيلة التي جبل عليها من خلاله، فاختلق البديل له، وفرض عليه وهو في قعر بيته، تشويها لمعالم الإسلام.

وعلى المسلمين — الآن — مواجهة هذه التحديات بالجهاد في سبيله واعلان كلمته والمتأمل في مصدري هذا الدين يرى أن الجهاد بالفكر يكون بالعطاء الذهني، والعقلي، والتخطيط العلمي لكل ما يخدم هذا الدين وقضاياه، والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة والبرهان على الأعداء ودعوتهم إلى الله، ويكون ببيان هذا الدين وشرح تعاليمه وأحكامه، ورفع الشبه والأباطيل. والجهاد بالبدن يكون ببذل النفس والتضحية من أجله، وفي سبيله، ولقد ضرب أصحاب النبي ﷺ المثل في التضحية والفداء في سبيله، والجهاد بالمال يكون بالإنفاق في سبيله عن طيب نفس، ورضا خاطر سواء أكان للفقراء، والمساكين، أو دعما للمجاهدين، أو بذلا على النفس والأهل. قال تعالى: « وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون »(٢)

(١) سورة الاعراف الآيتان ١٧٥، ١٧٦.

(٢) سورة المنافقون الآيتان ١٠، ١١.

٤ — دعوة الناس إليه والتعاون مع العاملين من أجله :

من شواهد الولاء للإسلام التعريف به ، والدعوة إليه بين المسلمين وغير المسلمين ، وهذا لا يتأتى إلا من طريق العلم وطلبه ، فإذا ساد العلم وجد الإيمان طريقه إلى القلوب لأن العلم يهدى إلى الإيمان ، ولذلك كانت دعوة الرسول — ﷺ — للعلم جادة .

فعن أبي هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ذكر الله تعالى وماوالاه وعالما ومتعلما »[1] .

وعن سهل بن سعد — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال لعلى — رضى الله عنه — فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »[2] .

ومن خلال هذا يكون التعاون مع كل العاملين له فى إخلاص وود وتجاوز عن الصغائر ، والتماس الأعذار ، ففى سبيل ووحدة الجماعة يتنازل عن كثير ، قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[3] .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً »[4] .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن انظر رياض الصالحين — النووى — ص ٦١٤

(٢) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٦١٣

(٣) سورة المائدة من الآية رقم ٢

(٤) سورة العمران من الآية رقم ١٠٣

إن الولاء للإسلام حق على الأمة عامة ، وعلى العاملين له خاصة ، إنه حق متعين على الجميع يتحقق من خلال الانتماء له ، والاعتزاز ، والجهاد من أجله ، والدعوة إليه ، والعمل مع العاملين من أجله ، وتحرى مصلحته دائما ، وربط الحياة به والموت فى سبيله ، والحزن لانحساره ، والسرور لعلوه .

الولاء للمسلمين :

الولاء للمسلمين يكون نتيجة الولاء لله — عزوجل — ولرسوله الكريم ، ولدينه القويم ، وانطلاقا من هذا يكون ولاء المسلم للمسلمين ، والولاء للمسلمين يكون بالحرص على كل مايهم المسلمين وينفعهم ويجلب كل خير لهم ، ويدفع كل ما يقع عليهم من مفاسد ، والوقوف معهم وفى صفوفهم حسب الطاقة والإمكان ، يجمعهم فى ذلك ولاءهم لدينهم الذى قطع عنهم أسباب الشقاق والخلاف ، وجعلهم صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وقد تحقق هذا المعنى فى المجتمع الإسلامى الأول حين دخل فيه الفارسى والشامى والهندى والمصرى والمغربى ... وسائر الأقوام والأجناس ، فلم يكن لديهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمراً ، ولم تكن كذلك ولايتهم إلا لمن يؤمن بالله ورسوله ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء »[1] .

وفى هذا النداء نرى أن التجرد يكون من أى علاقة إلا علاقة الإيمان

---

(١) سورة الممتحنة من الآية رقم ١

بالله ، والولاء لدين الله وحده ، ومن آمن به هو الهدف والغاية المنشودة ولذلك نرى أن الله — عزوجل — قال فى نفس هـــذه السورة ، « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير »[1] .

أى لن تنفعكم قراباتكم عند الله إذا أراد بكم سوءاً ، ونفع هؤلاء لايصل إليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر ولاينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء »[2] .

والذى يجب الإشارة إليه هنا أنه لايكتفى فى معنى الولاية للمسلمين الانتساب إلى هذه الأمة فقط نتيجة الرباط العقدى والإيمانى ، ولكن الولاء مرحـــلة تسمو على ذلك ، إنه تلاحم وتناصر وأخوة ، وهذا يتطلب تبعات وأعباء ، لأن الولاية هنا تعنى الارتباط العضوى كارتباط أعضاء الجسم تماماً ، بحيث يكون الجزء فى خدمة الكل ، والكل فى خدمة الجزء ، وتغليب مصلحة المجموع على مصلحة الفرد . وإلا تحول معنى الولاء إلى شكل بلا مضمون ، هذا ماتضمنه هذه الآيات الكريمة : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ، والذين

---

(١) سورة الممتحنة الآية رقم ٣

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٦

كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، والذين آمنـــوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم »[1] .

وموطن الاستشهاد فى موضوعنا الذين آمنـــوا ولم يهاجروا[2] ، فأقاموا فى بواديهم ولم ينضموا للمسلمين بالمدينة — وذلك عندما كانت الهجرة واجبة — فالولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبينهم منفية ، مادام أنهم لم ينضموا إلى مجتمع المؤمنين بالهجرة ، لكن تبقى رابطة العقيدة والدين ، بحيث إنهم إذا اعتدى عليهم فى الدين وجب عليكم أيها المسلمون نصرهم على شرط ألا يخل ذلك بعهد من العهود المبرمة بين المسلمين وأعدائهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد فهؤلاء يجب الوفاء بعهدهم ، لأن الإسلام لا يبيح نقض العهود والمواثيق . وهذا يعطينا مدى أهمية الولاية والتلاحم العضوى بين المسلمين ، ومدى الوفاء بالعهود والمواثيق بينهم وبين غيرهم .

---

(١) سورة الأنفال الآيات رقم ٧٢ — ٧٥

(٢) كان المؤمنون فى عصر النبى — ﷺ — أربعة أصناف :

ا — المهاجرون الأولون أصحاب الهجرة الأولى .

ب — الأنصار .

جـ — الذين لم يهاجروا .

د — الذين هاجروا بعد صلح الحديبية .

مظاهر الولاء بين المسلمين :

١ ــ الأخوة والتناصر :

الأخوة الأساس الأول الذى اعتمد عليه النبى ــ ﷺ ــ فى بناء المجتمع الإسلامى الأول ، ومن خلاله صارت الأمة المؤمنة أمة واحدة « إنما المؤمنون أخوة »[١] .

وحفاظا على هذه الأخوة أظهر الإسلام للمؤمنين أشياء تتنافى مع الأخوة الصادقة ، فقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان »[٢] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[٣] .

والأخوة فى الإسلام تفرض التناصر بين أبنائه ، وشد كل منهم لعضد أخيه فإذا رأى المسلم إهانة أو إساءة نزلت بأخيه المسلم ، فلا يتركه يكافح وحده ، بل يجب عليه النجدة والنصرة له حتى فى حال غيابه ، وهو بظهر الغيب .

---

(١) سورة الحجرات من الآية رقم ١٠

(٢) سورة الحجرات من الآية رقم ١١

(٣) صحيح مسلم جـ٨ ص ١٠ ، ١١

وما يقال فى التناصر والتأييد بالنسبة للأفراد ، يقال على مستوى الأمة كلها ، فالشعوب الإسلامية يجب أن تنطلق من مبدأ قول الرسول الكريم ﷺ « من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »[1] .

هذا ولا يخفى علينا بأن الأخوة الصادقة تعين على طاعة الله — عز وجل — كما أنها تكافل نفسى ومادى واجتماعى ، واحساس بحاجات الغير من المسلمين ، كما أنها أنس ومحبة وتكاتف وغيرة ووفاء .

٢ — الإيثار :

من مظاهر ولاء المسلم لأخيه الإيثار ومعناه كما قال القرطبى : هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة والصبر على المشقة »[2] . وصفة الإيثار من الصفات التى قام عليها المجتمع الإسلامى الأول ، وانتصر من خلالها وكانت له القوة والمنعة « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[3] . وإذا ضربنا لذلك مثالا نرى فى معركة اليرموك أنه لما وقع عكرمة وأصحابه فى أرض المعركة من الجراح ، واستسقوا فجيء بماء فلما قرب إلى أحدهم سمع رجلا بجواره يئن ، فأشار بدفعها الى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فلما ذهب إلى الثانى سمع ثالثا يردد آه آه فأشار بدفعه إلى الثالث ، فلما وصل إلى الثالث ، وجده قد مات ، فعاد إلى الثانى فوجده قد مات ، فرجع إلى الأول فوجده قد مات وماتوا جميعا ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم [4]

---

(١) رواه الحاكم وصححه ، وخالفه الذهبى

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى جـ ٨ ص ٢٦

(٣) سورة الحشر من الآية رقم ٩

(٤) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٣٩ بتصرف

ألا ترى أن هذه الصورة صارت غريبة — الآن — فى حياة المسلمين ؟.

إن هناك مظاهر أخرى من الولاء للمسلمين وذلك كالتعاون ، والتآلف والتضامن ، والاتحاد ، ولهذه المظاهر وسائل تعمقها وذلك كإحياء مشاعر الإخوة الإسلامية التى بهتت ، وتذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من الحب والعطف والمودة والقرب ، وتبصيرهم بمخاطر التيارات الفكرية المعاصرة ، ليسعوا سعيهم لعودة الشريعة الإسلامية إلى منصة الحكم ، ومقام الريادة فى بلاد المسلمين ، فى ظلها يظهر كل خير ويختفى كل شر .

حكم موالاة أعداء الله

كى يكتمل مفهوم الولاء فى الإسلام ، يجب أن أشير هنا إلى هذا الموضوع وهو : حكم موالاة أعداء الله . إننا نسمع الآن من يردد قائلا إن الدول الأوربية المسيحية دول كبرى متقدمة ، وظروف العصر تقتضى بالضرورة التعاون ، والتعامل معهم ، فيما يعود على البلاد بالمصلحة ونحن نحتاج إليهم فى بعض الأحيان ، ولذلك لابد وأن نتخذ لنا يداً عندهم فى السراء ننتفع بها إذا أصابنا ضر ، والأيام دول .

والحق أن هذا توهم مردود ، وهو امتداد للخط السلولى الذى ابتدأه عبد الله بن أبى سلول عندما اعتذر عن مسارعته واجتهاده فى الولاء لليهود والاستمساك بحلفه معهم ، وقال : إنى رجل أخشى الدوائر . يعنى أخشى تقلبات الزمن ، فقد تدور علينا الدوائر ، وأن تنزل بنا شدة ،، هذا الخط يظهره الله تعالى فيقول : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة »[1] وهذا دليل على عدم إيقانهم بنصر الله ، وإظهار دينه ، كما أنه دليل على ضعف الإيمان وعدم الثقة فى الله

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥٢

ـ تعالى ـ وهذا دأب المنافقين فى كل زمان، وها هو الواقع المشاهد يؤيد ذلك، فقد جرب المسلمون الاستعانة بالشرق أو بالغرب، ولم يجدوا من ذلك معيناً، فبقى عليهم بعد ذلك أن يجربوا الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ وسوف يجدونه نصيراً ومعيناً، «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز»(١)

لذلك نرى الحق ـ جل وعلا ـ هدد هؤلاء الذين يرتدون عن دينه بالولاء لأهل الكتاب وينتصرون بهم، إن فعلوا ذلك، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، يتولونه وحده وينتصرون به: يقول تعالى «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون»(٢) فما أروع هذه الحقيقة القرآنية وذلك فى حالة الاختيار والقوة، أما فى حالة الخوف والتقية فقد رخص الله ذلك بقدر المداراة التى يكتفى بها شرهم يقول سبحانه «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة»(٣)

ويشترط فى ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة كما هو مفهوم، يقول ابن كثير: «إلا أن تتقوا منهم تقاة، أى إلا من خاف فى بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال البخارى

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٠

(٢) سورة المائدة الآيات رقم ٥٤ ـ ٥٦

(٣) سورة آل عمران من الآية ٢٨

عن أبي الدرداء أنه قال « إنا لنهش في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم » وقال الثوري: قال ابن عباس ليس التقية بالعمل ، التقية باللسان»[1] . أما ما وراء ذلك فغير مسموح له حتى في الأقرباء ، حيث قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »[2]

هذا فيما يتعلق بالولاء الذي بمعنى التناصر : أما فيما يتعلق بالتعامل وإقامة العلاقات وحسن الجوار ، فهذا لا يمنعه الإسلام، والمسلم مأمور دينا بالسماحة ، وحسن المعاملة مع أهل الكتاب ومع غيرهم يقول سبحانه : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »[3] ، ويقول أيضا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »[4]. ويقول : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان »[5]

والخـــلاصة :

أن موالاة غير المسلمين إما أن تكون بمعنى المسالمه وحسن الجوار والمعاملة الطيبة وتبادل المنفعة فهذا مما دعا إليه الإسلام .

وإما أن تكون بمعنى المناصرة والمحالفة والرضا بما هم فيه من كفر.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٥٨

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٢٣

(٣) سورة التوبة من الآية ٦

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨

(٥) سورة المائدة من الآية ٥

فهذا يدفعه الإسلام ويمنعه، إلا في حال الخوف من أذاهم، فيجوز ذلك ظاهراً دون ميل قلبي إلى أن يتمكن المسلمون من إعادة قواهم كي يدفعوا هذا التقهقر، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »[1]

نسأل الله — ذا الجلال والإكرام — بأن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا،

هذا وبالله التوفيق ؟

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٦٠